

التركيب النحوية العدولية وسماتها الجمالية وأثرها في تغيير الدلالة في القرآن الكريم - نماذج مختارة من السور والآي -

Negative grammatical structures, their aesthetic features, and their impact on changing the meaning in the Holy Quran - Samples of selected surahs and

زلاغ ميلود^{1*}، مغني صنديد محمد نجيب²

¹ ، جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت - (الجزائر)، miloudzalagh10kh@gmail.com

مخبر الخطاب التواصلية الجزائري الحديث

² جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت - (الجزائر)، marni.sandid79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/09/01 تاريخ القبول: 2024/07/09 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: تعد اللغة العربية المحرك الأساسي في تطور وارتقاء الأمم فهي وسيلة للتواصل بينهم بواسطة نظام وقواعد متفق عليها مما يجعل المتكلم قادراً على إنشاء تركيب نحوية عديدة بترتيبها الأصلي أو بالتغيير في رتبة عناصرها وإخراجها بحلة جديدة حسب السياق وهذا بما يعرف بظاهرة العدول الذي يحدث في التركيب بكسر النمط المألوف بهدف التأثير في الدلالة وإظهار معانٍ جديدة عجز التعبير الأصلي عن تحقيقها. وهذا البحث الموسوم التركيب النحوية العدولية وسماتها الجمالية وأثرها في تغيير الدلالة في القرآن الكريم نماذج مختارة من السور والآي - دراسة تحليلية وصفية -، ركزت فيه على مواضع العدول في التركيب النحوية كالتقديم والتأخير وعملت على استقراء نماذج تطبيقية من القرآن الكريم على سورة البقرة/آل عمران/سورة عبس للكشف عن أسرارهم في النسق القرآني من جمال وقوة في دلالة الأسلوب من خلال خرق الاستعمال المألوف للغة

كلمات مفتاحية: القرآن الكريم، التقديم والتأخير، الدلالة، التركيب النحوية، البلاغة العربية

Abstract: The Arabic language is the main engine in the development and advancement of nations, as it is a means of communication between them through an agreed-upon system and rules, which makes the speaker able to create many grammatical structures in their original order or by changing the order of their elements and bringing them out in a new way according to the context, and this is what is known as the phenomenon of deviation that occurs in the structure by breaking the pattern Familiar in order to influence the significance and show new meanings that the original expression was unable to achieve. This research is marked by the grammatical structures, their aesthetic features, and their impact on changing the meaning in the Holy Qur'an Selected models of surahs and verses - an analytical and descriptive study - in which I focused on the places of deviation in grammatical structures such as advancing and delaying and worked on extrapolating applied models from the Holy Qur'an on Surat Al-

Keywords: the Holy Qur'an; introduction and delay; semantics; grammatical structures; Arabic rhetoric

1. مقدمة:

تحتل التراكيب النحوية أهمية بالغة لدى الدارسين في القديم والحديث لما تحققه من دلالات جمالية تُكسب اللغة العربية ثراء في تركيباتها اللغوية وبالخصوص عندما يتعلق الأمر بالنص القرآني لما يحمله من أغراض فنية مبدعة تزيد أسلوب الآيات قوةً وجمالاً ذلك لأهميتها النحوية التي تؤثر في المعنى من خلال تغيير ترتيب المفردات في التركيب النحوي، حيث تؤدي إلى ظهور أغراض لم تكن موجودة من قبل كالتخصيص أو لبيان أهمية المقدم، وهذا ما اهتم به علماء النحو والدلالة وأعطوه تعريفاً شاملاً وبالأخص الإمام "عبد القاهر الجرجاني" فقد وضحه وبين فوائده الكثيرة في إظهار دلالات جديدة وخلق صورة فنية جمالية يحددها السياق مبيناً أهداف التقديم والتأخير من خلال تغيير رتبة العناصر النحوية وما يصاحبها من تأثير في الدلالة حسب السياق الذي حصل فيه العدول. وقد تم الاعتماد في هذا البحث على منهج وصفي تحليلي، لأننا بصدد التعريف. بالتراكيب النحوية العدولية وسماتها الجمالية وأثرها في تغيير الدلالة في القرآن الكريم ودراسة مختلف جوانبها كالأنواع والأغراض والأهمية، وتحليل نماذج تطبيقية مستنبطة من مختلف السور القرآنية.

2. تعريف التقديم والتأخير:

تحصل ظاهرة التقديم والتأخير من خلال تغيير مواقع المفردات داخل التركيب، بحيث يترك العنصر النحوي مكانه الأصلي ليحل محله عنصر آخر كان مؤخراً عنه، وذلك بهدف تحقيق غرض بلاغي وجمالي لم يوجد لولا حدوث تغيير في رتبة هذه المفردات ويكون وفق قواعد ضبطها النحو العربي لسياق الكلام¹.

التقديم لغة: جاء في أساس البلاغة للزمخشري: «تقدمه وتقدم واستقدم...» نقيض

آخرته فقدم وأقدم بمعنى تقدم². وهذا القول يوضح لنا أن مفهوم التقديم هو عكس التأخير ويطلق على ما جاء في المقدمة وهذا ما اتفق عليه العلماء القدماء.

التأخير لغة: هو من الجذر الثلاثي أخر يؤخر تأخيرا وورد عند ابن منظور: "كما في

أسماء الله تعالى الآخر والمؤخر فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه"³ وعرفه {الفيروز أبادي} في قاموسه: "الأخر بضميتين ضدّ القُدّم أو تأخر وأخر تأخيرا"⁴.

تعريف التقديم والتأخير اصطلاحا

أ. **عند القدماء:** ورد تعريف التقديم والتأخير عند الكثير من العلماء مما يدل على

اهتمامهم به: فنجد ابن جني في كتابه الخصائص، في فصل التقديم والتأخير "يرى أن هذا الأخير لا يكون متى أردنا ذلك، وإنما للضرورة والحاجة التي تدفع المتكلم إلى الخروج عن القاعدة الأصلية كتقديم المفعول به على الفاعل تارة، وعلى الفعل والفاعل تارة أخرى (ضرب زيداً عمرو) (زيداً ضرب عمرو)، وهناك مواضع لا يمكن لا يجوز فيها العدول عن الأصل مثال ذلك ما نجده في الاستثناء (ما قام إلا زيداً أحد) هنا لا يمكن تقديم المستثنى على الفعل الناصب له كقولك (إلا زيداً قام القوم) امتنع التقديم لمجاورة الاستثناء البديل⁵.

وعليه فإن التقديم والتأخير عنصران أساسيان متصلان فليس لنا أن نقدم شيئا إلا

بتأخير الآخر وهما مهمان في النحو لهذا اهتم به القدماء وأعطوه تعريفا شاملا وبالأخص الإمام "عبد القاهر الجرجاني" فقد وضعه جيدا مبينا فوائده الكثيرة في إظهار دلالات جديدة وخلق صورة فنية جمالية يحددها السياق كما تساهم في التأثير على نفسية السامع وتقرب الصورة إلى ذهنه.

ب. **عند المحدثين** تناول المحدثون ظاهرة التقديم والتأخير كثيرا في كتبهم مبينين دوره

في التركيب النحوي الذي يدرس اللغة وفق نظامها ووظائف ألفاظها⁶. بالإضافة إلى ما

ينتج عنه من أغراض جمالية وقوة في إبلاغ المعنى المقصود، ومن الباحثين المهتمين بهذا الموضوع نجد: يوسف مسلم أبو العدوس يقول: (التقديم والتأخير أحد الأساليب البلاغية وهو دلالة التمكن في الفصاحة وحسن التصرف ووضعه في الوضع الذي يقتضيه المعنى)⁷.

ويتبين من قوله أنه يحكم على المتكلم الذي يجيد استعمال التقديم والتأخير في الكلام، بالفصيح والتمكن من اللغة، لكن هذا ليس شرطاً أساسياً لقياس فصاحة المتكلم بل يجب توفر شروط أخرى لذلك، ولهذا نقول أن التغيير في الرتب النحوية لا يكون عشوائياً أو مجرد إنتاج جمل كثيرة لا دلالة لها، إنما يكون وفق ضوابط محددة يفرضها يفرضها المقام على المتكلم، وهذا ما أكدّه "علي بن خلف الكاتب" في قوله: (النظم على خمسة: نقلٌ وفصلٌ ووزنٌ وقلبٌ ومثلٌ، فالنقل في الكلام بالتقديم والتأخير...) ⁸.

ويعني بكل هذا العدول عن الأصل في التراكيب هو أحد الأمور الأساسية في النظم فكان تعريفه وافقاً لقول الجرجاني الذي يرى أن للتقديم والتأخير دوراً في تحقيق النظم وتحقيق معان بعيدة الغاية ومقوية للمعنى بتغيير مواضع

وفي الأخير نستنتج أن هناك تفاق بين القدماء والمحدثين في كثير من الأمور المتعلقة بالتقديم والتأخير، فلم يرد أي اختلاف بينهما وإنما اتفقوا على فكرة واحدة تتمحور حول ضرورة كسر القاعدة النحوية حسب ما يقتضيه السياق، مع مراعاة تحقيق جماليات هذا الخرق ومدى تأثيرها على المتلقي وإقناعه.

3. مواضع وأغراض التقديم والتأخير:

يتمحور هذا الجزء من البحث حول مواضع التراكيب النحوية العدولية المنزاحة عن النمط الأصلي لها مثل ظاهرة التقديم والتأخير التي تعد من أهم الظواهر السياقية التي تساهم في الارتقاء بالأساليب وارتفاعها في البيان، وذلك بفضل ما تحققه من دلالات وأغراض

جمالية مختلفة⁹، ويكون حسب ما يلزمه الموقف الكلامي والمقصد والدقة في النظم والانسجام في التركيب.

وهناك حالات التقديم والتأخير التي تطرأ على الجملة سواء كانت إسمية أم فعلية كما يلي:

مواضع وأغراض تقديم المسند:

-مواضع وأغراض تقديم الخبر: ويكون في الجملة الإسمية التي تبدأ باسم¹⁰، أي المبتدأ والخبر وهما إسمان تتألف منهما جملة مفيدة (الجو بارد) وهذا هو الترتيب الأصلي لها، إلا أنها قد تعدل عن نمطها المألوف فيتقدم الخبر عن المبتدأ كالتالي:

*إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة: قوله تعالى: {لكم دينكم ولي دين} الكافرون6، قدم الخبر (لكم) ليفيد تخصيصه بالمبتدأ (دينكم) وقصره عليه، أي أن إثبات المبتدأ بالخبر خاصة لا يتعداه إلى غيره¹¹.

*أن يكون دالا على ما يفهم بالتقديم ولا يفهم بالتأخير¹²: مثل: مسلمة أنا، فلو أخر الخبر لم يفهم منه المعنى الحقيقي فكان التقديم لغرض التفاخر بالانتماء للدين الإسلامي.

*أن يكون الخبر في ذهن المتكلم أهم من المبتدأ مثل: عظيم أنت، عظيم: خبر مقدم /أنت: مبتدأ مؤخر¹³ وأفاد هذا التقديم دلالة فنية وهي الاهتمام بالمقدم والتعظيم من شأنه.

*إذا كان الخبر من الأسماء التي لها الحق في الصدارة كالاستفهام¹⁴، نحو: أين محمد؟ فالغرض من تقديم الخبر (أين) اسم استفهام على المبتدأ (محمد) هو السؤال عن مكان وجود محمد.

*أن يكون الخبر محصوراً في المبتدأ، وذلك بأن يقترن المبتدأ ب (إلا) لفظاً مثل: (ما خالق إلا الله)¹⁵ تقدم الخبر (خالق) على المبتدأ (الله)، وذلك لغرض التخصيص وحصر

صفة الخلق بالله وحده، فحقق هذا التقديم دلالة جمالية ووضوحاً في المعنى، فلو أُخبر الخبر لحدث لبس في المعنى المقصود¹⁶.

وعليه فإن المواضيع متفق عليها بين علماء النحو، كما يحصل هذا مع النواسخ أيضاً لما تحققه من أغراض جمالية ودلالات متنوعة ما كانت لتكون لولا العدول عن الأصل في أي تركيب لاسيما في القرآن الكريم.

-مواضع وأغراض تقديم المفعول به عن الفعل والفاعل معاً وهذا النوع من التقديم يكون على مستوى الجملة الفعلية، وهي التي تبدأ بفعل مثل: (كتب محمدُ الدرسَ)، وتتكون من بنيتين أساسين هما (الفعل/الفاعل) وقد يُخترق التنظيم الأصلي لعناصرها بالتقديم والتأخير، فتنبثق عن ذلك أغراض تُبلغ المعنى المراد حسب الموضع والمقام كالتالي:

*إذا كان المفعول به من ضمائر النصب المنفصلة مثل: قال تعالى: {إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعينُ} الفاتحة 5، إياك: ضمير منفصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم للفعل (نعبد) لغرض تخصيص العبادة بالله وحده، فنتج عن هذا التقديم جمالا ووضوحا في الآية الكريمة وقدم المفعول به (إياك) الثانية ضمير منفصل على الفعل (نعبد) على أساس أن تقدم العبادة على الاستعانة للحصر والتأكيد على وجود العلاقة بينهما¹⁷.

*أن يقع عامله بعد (فاء) الجزاء في جواب (أما) الشرطية الظاهرة أو المقدرة نحو قوله تعالى: {فأما اليتيم فلا تقهر} الضحى¹⁸، فقد تقدم المفعول به (اليتيم) على الفعل (تقهر) لتحقيق دلالة جمالية تتمثل تتمثل في التحذير من قهر اليتيم. وعليه فتقديم المفعول به على الفعل والفاعل يكون لدواعي يفرضها الموقف الكلامي لغرض إبلاغ المعنى بطريقة تجذب انتباه السامع.

_مواضع وأغراض تقديم المفعول به عن الفاعل: ويأتي في هذه الحالة:

*إذا حُصر الفاعل بـ(إلا) أو(إنما)¹⁹، مثل: ما هذب الناس إلا الإسلام، قدم المفعول به (الناس) على الفاعل(الإسلام) وجوباً لأنه جاء محصوراً بـ (إلا)، وكانت الفائدة الدلالية من ذلك الغرض بيان أهمية وعظمة الإسلام في التربية والتهديب.

ولقد تقدم المفعول به على الفعل وعلى الفاعل لدواعي يفرضها المقام بهدف إبلاغ المعنى المقصود.

مواضع وأغراض تقديم الحال:

الأصل في الحال أنها تأتي متأخرة على صاحبها لأنها توضح هيئته مثل: دخل الرجل متعباً،(متعباً)حال متأخرة عن صاحبها لغرض بيان هيئته، ولكن قد تتقدم الحال عن صاحبها أو على عاملها وذلك إذا كان(أهمية خاصة)²⁰ مثل: عاد فرحاً أبوك،(عاد) عاملها، (فرحاً) حال، (أبوك) صاحبها، وهنا نجد تقدم الحال على صاحبها (أبوك) وتأخرها عن عاملها (عاد) لغرض التأكيد على حالة الأب عند رجوعه وهي (الفرح) و تقوية معنى التركيب بالتقديم الذي كان غائباً بتأخير الحال.

نلاحظ من هذا كله أن الانزياح عن الأصل بالتقديم والتأخير يمسُّ مختلف التراكيب النحوية خصوصاً عندما يكون المتكلم مجبوراً على خرق القاعدة لأن هدفه إيصال المعنى للمتلقي.

مواضع وأغراض تقديم المسند إليه:

_تقديم الفاعل عن الفعل: فالأصل في الفاعل أن يتأخر عن الفعل (لأن الفاعل معمول له وحكم العامل أن يكون قبل المعمول)²¹، وأن يتقدم على المفعول به مثل: كتب الطالبُ الدرسَ، و لكن قد يحصل تنظيم آخر لعناصر الجملة الفعلية ويتقدم الفاعل على الفعل: لعلَّ الأسبقية في الوجود نحو:(السماءُ انشَقَّت) فعل مؤخر²²، كان هذا التقديم للعناية بالمقدم وتحقيق دلالة فنية مميزة للتركيب.

4. الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير:

إن التقديم والتأخير موضوع مشترك بين علمي النحو والبلاغة إلا أن الأول (النحو) درسه من ناحية التركيب، والثاني (البلاغة) درسه من ناحية المعنى وذلك من خلال تبیین المعاني والأغراض التي اتسمت بها الجملة التي جرى فيها التقديم والتأخير وفيما يلي شرح لتلك الأغراض.

***التشويق:** وذلك أن يكون في المسند إليه غرابة من شأنها أن تشوق المخاطب إلى معرفة المسند وذلك لأن المسند والمسند إليه متلازمان ومثال ذلك قول أبي علاء: "والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد"

فالمسند إليه هو الاسم الموصول (الذي) والجملة التي بعده (حارت البرية فيه) صلة له والموصول وصلته متلازمان كأنهما شيء واحد، والمخاطب هنا تتشوق نفسه وفؤاده لمعرفة الخبر أي المسند ذلك لأن في المسند إليه غرابة أي نجد المخاطب يتساءل: ما الذي حارت البرية فيه يا ترى؟ فيجيء الخبر متأخرا (حيوان مستحدث من جماد).

***التخصيص:** إذا كان الخبر فعلا وولى المسند إليه حرف النفي نحو: "ما أن قلت هذا" أي لم أقله وهو مقول لغيري ولا يقال ذلك في شيء ثبت أنه مقول لكن تريد أن تنفي كونك قائلًا له²³. أو أن يتأخر النفي عن المسند إليه وأن يكون المسند فعلا (أنا ما فتحت الباب) ومعنى إفادة التخصيص أن المسند إليه ليس هو الذي وقع منه هذا الفعل ولكن هذا الفعل وقع من غيره فقولك: (ما أنا غششت في الامتحان) أردت منه أمرين اثنين هما: •نفي الغش عن نفسك •إثباته لغيرك. ولهذا لا يستعمل هذا الأسلوب ولا يركب هذا التركيب إلا إذا أردنا هذين الأمرين معا.

***إفادة التعميم:** ويكون ذلك إذا اجتمع في الجملة أداة تدل على النفي وتقدمت أداة العموم على أداة النفي فأدوات العموم هي: (كل/جميع/عامة/كافة) وما يشبهها مثل (من) وأدوات النفي هي (لا/لم) وما يشبههما ²⁴. ويكون عموم السلب بتقديم أداة العموم ككل وجميع على أداة النفي نحو: (لم يكن كل ذلك) أي لم يقع المجموع فيتحمل ثبوت البعض ويتحمل نفي كل فرد ويسمى (نفي الشمول) وعموم السلب يكون فيه النفي للجميع غالبا ومثال إفادة العموم من القرآن الكريم قوله تعالى: {إن الله لا يحب كل مختال فخور} لقمان 118، ومعناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فكأنما سبحانه يقول: لو أن محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور وما يكون ظاهره أنه سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب ²⁵.

***تعجيل المسرة:** ومثال ذلك قول الله تعالى: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} التوبة 43، فلو اختلف الترتيب في الآية لجاءت هكذا لما أذنت لهم عفا الله عنك لما حملت نفس المعنى، ولا أفهمت هذا المراد من الآية الأولى التي جاءت مصدرة بالعفو لإذهاب أي خوف من قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تصدير الآية بالعتاب ²⁶.

***تعجيل المساءة أو التشاؤم:** ومثال ذلك قول الله تعالى: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم} البقرة 79، إن تقدم كلمة (ويل) أشاع جوا نفسيا مملوءا بالخوف المترقب والتشاؤم بسبب تقدمها مصاحبة هذا الشعور التشاؤمي لنفس من هذه الحالة من أول الآية وحتى آخرها ولا يبقى هذا المعنى على حاله إذ تغير هذا الترتيب ²⁷.

***التقديم في مثل وغير:** تتطلب الأساليب البليغة تقديم كلمتي (مثل/غير) على الفعل، وهذا التقديم يتم في كلمتين إذا أريد بهما الكفاية يقول عبد القاهر الجرجاني: (ومما يرى تقديم الاسم فيه كلاًزم مثل/غير مثل قول الناس: مثلك رعى الحق والحرمة). ففي المثال يكنى

المخاطب حيث أنه لم يذكر، وإنما ذكر لازمة تستدعيه فمادام هذا الأمر يأتي من كل من كان على شاكلته ويتخلق بخلقه أما كلمة غير نحو: نحن نزرع وغيرها يحصد²⁸.

***التنبيه على الخبرية:** الخبر والصفة متقاربان ويفرق بينهما بعبارات معنوية، فالذي يصلح أن يكون صفة قد يصلح أن يكون خبراً، فإذا قلنا (مستقر في الأرض لنا) فإن كلمة (لنا) تحتل أن تكون صفة أو خبراً وكذلك (مصلى لنا في القدس) تحتل كلمة (لنا) أن تكون خبراً أو صفة والخبر أقوى من الصفة في دلالاته لأن الخبر ركن في الجملة عكس الصفة.

***الاهتمام بالممدوح** وذلك بتقديم اسمه في الجملة كقول الشاعر:

(محمد أنت ما أحلاك تسمية الله سماكها والحمد منتظر) وذلك أنه من عادة العرب الفصحاء إذا أخبرت عن مخبر ما وأنطت به حكماً، وقد يشركه غيره في ذلك الحكم أو فيما أخبر به عنه وقد عطف أحدهما على الآخر بالواو المقتضية عدم الترتيب فإنهم مع ذلك إنما يبدئون بالأهم، ومثال ذلك قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين} البقرة 43 فبدأ بالصلاة لأنها الأهم²⁹.

***مراعاة الترتيب (الطي والنشر):** وهو ذكر معتد على التفصيل أو بالإجمال تم ذكر لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه لعلمه وذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية، وهو ذكر المتعدد على التفضيل.

ثانياً /التعريف بالنص القرآني وأهميته:

النص القرآني هو نص منسجم متكامل ومتناغم يكمل بعضه البعض الآخر، مصداقاً لقوله تعالى: {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} وقوله أيضاً: {فلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} وهناك اتفاقاً بين أهل العلم على

وحدة النص الشرعي وانسجامه، قال الإمام الشاطبي: (الجميع على أن الشريعة الإسلامية لا إختلاف فيها ولا تناقض).

5. نماذج مختارة من القرآن الكريم

1/ صور التقديم والتأخير في سورة البقرة:

***تقديم المفعول على الفاعل:** تقدم المفعول به على الفاعل في سورة البقرة فيما يربو على عشرين موضعاً وتتوعد تراكيب مجيئها وبتنوعها تنوع حكم تقدمه من حيث الوجوب والجواز، فإذا كان الفاعل والمفعول اسمين ظاهرين جاز تقديم المفعول وتأخير ما لم يرفع في لبس كقوله تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} (سورة البقرة، الآية 133) وقوله سبحانه {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} (سورة البقرة، الآية 180)، أما إذا اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول وجب تقدم المفعول على الفاعل حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة كقوله تعالى: {وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} (سورة البقرة، الآية 124).

أو كان المفعول به ضميراً متصلاً والفاعل اسم ظاهر وجب تقديم المفعول على الفاعل كذلك وورد هذا النوع كثيراً في هذه الآيات: قوله تعالى {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ} (سورة البقرة، الآية 55)، {نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ} (سورة البقرة، الآية 133-180)، {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} (سورة البقرة، الآية 118).

والآيتين {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ}، مع أن الفاعل المتأخر واحد وهو (الموت) إلا أن السر هنا غيره هناك وهي دلالة واضحة على أثر السياق في تحديد السر البلاغي في اللغة القرآنية فالآية الأولى: قدم يعقوب عليه السلام للاهتمام به، إذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك إجمالاً

في قوله: {يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} (سورة البقرة، الآية 132).

ويتضح الاهتمام جلياً عندما ذكره سبحانه وتعالى باسمه ولم يقل (حضره) مع تقدم اسمه في الآية قبلها . وأما في الآية الثانية {إذا حضر أحدكم الموت} فليس ثمة اهتمام بالمقدم، وإنما يفيد تقديمه كمال الفاعل عند النفس وقت وروده عليها، ولعمري أي أمر أمكن منه، وأشد من سكراته وأذهل، وكفاك بها شدة طلب الحبيب المصطفى من حبيبه الإعانة اللهم أعني على سكرات الموت³⁰

*تقديم المفعول الأول على الفاعل

قوله تعالى: {للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم} البقرة الآية 273 ف (الفقراء) في موضع الخبر لمبتدأ محذوف، وكأنه جواب سؤال مقدر، كأنه قيل لمن هذا الصدقة المحثوث على فعلها؟ فقيل للفقراء . وقدم المفعول الأول وهو الضمير في يحسبهم على الفاعل، للاهتمام بهم والاعتناء بشأنهم فهم المقصودون في الآية (الفقراء).

*تقديم المفعول الثاني على الأول

لقوله تعالى {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب} قوله {وآتى المال على حبه} آتى أعطى، والضمير في (حبه) عائد على المال فالمصدر مضاف إلى المفعول ويحتمل أن يعود الضمير على الإيتاء، أي وقت حاجة من الناس وفاقه، فايطاء المال حبيب إليهم ويحتمل أن

يعود على اسم الله من قوله {من آمن بالله} أي من تصدق محبة في الله وطاعته. والأظهر أنه عائد على المال لأنه أقرب مذكور ومن قواعد النحويون أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل.

*تقديم الظرف على نائب الفاعل

قوله تعالى {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم...} قرأ الجمهور أحل مبينا للمفعول وحذف الفاعل للعلم به، أي أحل الله، والمراد بالليلة الجنس لا الواحدة³¹. وعدى الرفث ب (إلى) لتضمينه معنى الإفشاء، وإلا فأصل تعديته بالباء وأضاف النساء إلى المخاطبين لأجل الاختصاص. وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للتشويق فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة إليه، فيتمكن وقت وروده فضل تمكن. لا سيما وقد سبق ذاك ما يحث النفس على جلائه، ف فعل (أحل) وما فيه من دلالة الإباحة بعد الحظر والنفس بطبعها تهوى اليسر وتتطلبه، والضمير (لكم) فهم معنيون بذلك لا غيرهم وهذا مما يدفعهم لمعرفة ما يأتي بعده فالحكم يخصهم، فإذا قدم ما حقه التأخير وهي مرحلة ثالثة من أجل التشويق تجعلهم في حالة ترب وتأهب لما سيلقى على أسماعهم³².

*تقديم الجار والمجرور على الفاعل

قوله تعالى: {وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا} (فانفجرت) الفاء للعطف على جملة محذوفة التقدير "فضرب فانفجرت" كقوله تعالى: {أن اضرب بعصاك البحر فانفلق} (سورة الشعراء، الآية 63) أي ضرب فانفلق ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتباً على ضربه إذ لو كان ينفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة، وكان تركه عصياناً وهو لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. (منه) متعلق بقوله (انفجرت) ابتداء الغاية، والضمير عائد على الحجر المضروب

وتقدم الجار والمجرور (منه) على الفاعل (اثنتا عشرة) لغرابة الحدث. ومن شواهد ذلك قوله أيضاً: {ثم قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة ما ينفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منها الماء}.

الضمير في (منه) يعود على الحجارة ومنه لابتداء الغاية، وما قيل في الآية السابقة يقال هنا فتقديم الجار والمجرور (منه) على الفاعل (الأنهار/الماء) لغرابة أن يقع ذلك منها وكيف تستجيب لما هو خلاف العادة. وهناك عدة مواضع وردت في سورة البقرة تقدم فيها الجار والمجرور على الفاعل نذكر منها: {فإِذَا يَأْتِيَكُم مِّنِي هَذَى} الآية 38 {وما يكفرُ بها إلا الفاسقون} الآية 99

*تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

الجار والمجرور كما تقدم يتوسع فيه مالا يتوسع في غيره، عدا الظرف ويقل ويزداد هذا التوسع تبعاً للتراكيب ويشهد لذلك تقديمه على المفعول به في سورة البقرة، فقد أتى موازياً لثلاثة أضعاف تقدمه على الفاعل، والسبب فيما يبدو، ليس ثمة فاصل بين الفعل والفاعل في التركيب السائد للغة مما قلل فرص تدخل الجار والمجرور.

أما المفعول فبينه وبين عامله منزلة يحتلها الفاعل فهو في المنزلة الثانية لعامله، وكلما ابتعدت المعمولات عن عاملها فإنها تتيح للجار والمجرور فرصاً أكثر للتدخل، وفي حالة تقديم الجار والمجرور على المفعول به ورد له أربعون موضعاً نذكر منها:

-قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الآية 30، (جاعل) خبر إن وله معنيان الأول بمعنى الخالق ويتعدى إلى مفعول واحد، والثاني بمعنى ميسر فيتعدى لمفعولين.

- وقوله أيضا {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه} الآية 37

2/ صور التقديم التأخير في سورة آل عمران: سنعرض في هذا الجزء من البحث إلى

رصد صور التقديم والتأخير الواردة بالسورة وما ينتج عنها من أغراض ودلالات تساهم في تحقيق الجمالية في النسق القرآني:

أ/ صور تقديم الخبر:

* النموذج الأول قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهَا ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الرَّاْسَخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}

تشمل هذه الآية الكريمة على نموذج لتقديم الخبر كما يلي: (منه آيات محكمات. الإحكام في الأصل هو المنع، استعمل الإحكام في الإتيان والتوثيق وأطلق المحكم في هذه الآية على واضع الدلالة على سبيل الاستعارة لأن وضوح الدلالة منعاً لتطرق الاحتمالات الموجبة في التردد إلى المراد) ومن خلال هذا التفسير نجد أن ظاهرة التقديم واقعة في الموضوع التالي (منه) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم و(آيات) مبتدأ مؤخر³³.

والغرض الذي دلت عليه هذه هو: أن القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهات ومحكمات التي تعد أصل القرآن لأنها خالية من الشبهات وجاء العدول بتقديم الخبر لتوكيد المعنى وتقويته.

ب/ صور تقديم الظرف:

* النموذج الأول: قوله تعالى: {أَوْ لِمَا أَصَابَكُمْ مِصْيَبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أِنِّي هَذَا

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

حدث التقديم في الآية (أنى هذا) أنى: من أين لنا، هذا: الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا³⁴.

وَتُعَرَّب (أنى): اسم استفهام خبر مقدم /و(هذا): مبتدأ مؤخر. الغرض من تقديم الظرف (أنى والتقدير: من أين لنا هذا) للدلالة على التعجب مما حل بهم نتيجة عصيانهم لله الذي قدر لهم الخذلان.³⁵

*النموذج الثاني: قوله تعالى {فاستجاب له ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضُكم من بعضٍ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسنُ الثواب}{حصل التقديم في جملة (عنده حسن الثواب) أي الجزاء، وقد تقدم (عنده): مفعول فيه ظرف مكان متعلق بخبر مقدم محذوف.(حسن) مبتدأ مؤخر³⁶.

صور تقديم الظرف لم ترد بكثرة في سورة آل عمران.

ج/صور تقديم المفعول به:

-صور تقديم المفعول به على الفاعل: قوله تعالى: {كدأب آل فرعونَ والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب}{. في الآية الكريمة تقديم (هم) في أخذهم: ضمير متصل في محل نصب على أنه مفعول به تقدم على الفاعل المؤخر (الله) لفائدة تدل على تخصيص الانتقام وتهديد آل فرعون في الدنيا والذين من قبلهم والتأكد بأن الله عقابه شديد³⁷.

-صور تقديم المفعول به على الفعل: قوله تعالى: {أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون}{ تفسير الحالة التي حصل فيها التي حصل فيها التقديم والتأخير في الآية: {أفغير دين الله يبغون}{ تفريع عن التذكير بما كان

عليه الأنبياء الاستفهام والتوبيخ والتحذير³⁸. من خلال هذا التفسير يمكن القول أن المفعول به (غير) المقدم على الفعل المؤخر (يبغون)، جاء لغرض العناية و الاهتمام.

د/صور تقديم الحال: قوله تعالى: {إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار} حصل التقديم والتأخير في جملة: (من الله) أي: من أمر يضاف إلى اله لأن تعليق هذا الفعل تعليقاً ثانياً باسم ذات لا يقصد منه إلا حال اشتهرت به³⁹. ويظهر العدول النحوي في تقديم (من الله) جار ومجرور متعلق بحال مقدمة من (شيئاً) لغاية تتصل بالمعنى المقصود من أسلوب الآية لتعظيم أمر وشأن الله سبحانه وتعالى وأنهم لن تغني عنهم أولادهم ولا أموالهم من الله شيئاً.

الخاتمة: وتوصلنا في ختام بحثنا هذا الى ما يلي:

- اهتمام النحاة بظاهرة التقديم والتأخير، وإستدلالهم ببعض من الشواهد العربية في تأصيل قواعد النحو.
- مكانة العنصر المتقدم في تشكيل المعنى المحوري للدلالة فهو البؤرة الأساسية في تكوين المعنى المقصود.
- جهود المحدثين في دراسة الظاهرة ومحاولتهم إستنباط قواعد نحوية وتركيبية تخدم الموضوع من شتى مجالاته.
- كشفت الدراسات أن التقديم والتأخير في بعض عناصر الجملة وتغير موقعها يكسب العنصر المتقدم وظيفة دلالية زيادة على وظيفته النحوية ولعل هذه الوظيفة تتمثل في أن العنصر المتقدم يصبح العمدة في الجملة، حتى وإن كان فضلة في النظرية النحوية.
- فن التقديم والتأخير يُلم بالعديد من الأسرار المتعلقة في لغة القرآن لا يدركها إلا أصحاب البصائر المنيرة والأذواق السليمة.

- أهمية التقديم والتأخير التي تكمن في مرونة اللغة العربية ودقة التعبير فيها والتمكن من الفصاحة وقوة في الأسلوب وجمال صياغتها.
- يعود الفضل في وضع قواعد هذه الظاهرة واكتشاف أسرارها إلى شيخ البلاغة العربية {عبد القاهر الجرجاني}.
- إن دراسة التقديم والتأخير والإلمام بقواعده من أقوى الرسائل الموصلة إلى معرفة سر الإعجاز في القرآن الكريم لهذا عجز خصوم القرآن على مواجهة تحديه وسيبقى على المدى معجزة الإنسان لقوله تعالى: {قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}.

الهوامش:

- ¹ هدية جبلي، ظاهرة الإنزياح في سورة النمل دراسة أسلوبية، ماجيستر جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص 123
- ² الزمخشري، أساس البلاغة، دمشق، دار النفائس للطباعة والنشر، 2009، ص 464
- ³ ابن منظور، لسان العرب، مج 4، تح عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، ص 13
- ⁴ مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي، قاموس المحيط، تح أبو وفاء نصر الهرويني، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007، ص 367
- ⁵ ابن جني، الخصائص، ج 2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008، ص 158
- ⁶ صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند المام الجرجاني، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، د ت، ص 40
- ⁷ يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، عمان، دار السيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2013، ص 97
- ⁸ علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص 42
- ⁹ يوسف يحيوي، الجوانب التركيبية للجملة العربية في ديوان محمد العيد آل خليفة وأحمد سحنون دراسة نحوية تحليلية وموازنة، د د ن، 2013، ص 49
- ¹⁰ سناء البياني، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، الأردن، دار وائل للطباعة والنشر، 2003، ص 34
- ¹¹ خديجة محمد أحمد اللبباني، دراسة بلاغية تحليلية، شهادة دكتوراه إشراف ع العزيز أبو سريع ياسين، جامعة أم القرى، 2001، ص 210
- ¹² السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع تح احمد شمس الدين، مج 1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2006، ص 332
- ¹³ محمود مطرجي، في النحو وتطبيقاته، لبنان، دار النهضة العربية للنشر، 2008، ص 167

- ¹⁴ أحمد لعويجي، المسند إليه والمسند في الشعر، الجزائر، منشورات مخبر الممارسة اللغوية، 2012، ص73
- ¹⁵ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية مراجعة إبراهيم قلاتي، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، دت، ص369
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص369
- ¹⁷ المبروك زيد الخير، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغة، الجزائر، دار الوعي للنشر، 2011، ص503
- ¹⁸ عبد الله بن صالح الفوزان، دليل المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص332
- ¹⁹ محمود مطرجي، في النحو وتطبيقاته، ص317
- ²⁰ المصدر نفسه، ص385
- ²¹ جزاء محمد المصاروة، شرح دروس في النحو، عمان، دار أسامة، دت، ص138
- ²² دليلة مزور، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2011، ص18
- ²³ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، لبنان، دار الكتب العلمية، 1993.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص224
- ²⁵ فضل حسن عباس، المرجع السابق، ص51
- ²⁶ منير محمد الميسري، المرجع السابق ص51
- ²⁷ المرجع نفسه، ص51
- ²⁸ توفيق الفيل بلاغة التركيب مكتبة الآداب القاهرة 1991، ص126
- ²⁹ بدر الدين الزركشي البرهان في علوم القرآن تح. أبو فضل الدمياطي دار الحديث مصر 2006/ص791
- ³⁰ جزء من حديث عائشة رضي الله عنها رواه أحمد في مسنده برقم 24410/6/72 والترمذي في سنته في كتاب الجنائز باب ما جاء في التشديد عند الموت ³⁰ برقم 978 وابن ماجه في كتاب الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض الرسول عليه الصلاة والسلام رقم 1623
- ³¹ أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993، ص 55/1
- ³² المرجع نفسه
- محمود الصافي الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، لبنان، دار الرشد، 1995، ص111
- ³⁴ السيوطي، والمحلي تفسير الإمامين الجلالين، دار ابن كثير، ص71
- ³⁵ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص 160
- بهجة عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ص 221
- ³⁷ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 176-211
- ³⁸ المرجع نفسه، ص300
- ³⁹ المرجع نفسه، ص173